ظاهرة الحذف في التنزيل

✍ د. محمد السر محمد علي (★)

المقدمة:

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الذي أوتي جوامع الكلم، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ اللغة العربية -بما انفردت به من مِزايا لا نظائر لها في لغات الدنيا- قد أصبحت رائدة عالية، كما أكسبها ارتباطها بالقرآن الكريم العالمية والخلود، ومن بين مزايا هذه اللغة الشريفة أنها تهيئ آفاقاً للعقل أن يفكَّر وينطلق؛ لما اختصت به من سعة، وما تضمنته من قضايا وظواهر نحو: (الاشتقاق والحذف والتقدير- وغيرها)، لاعتبارات يحددها السياق والمقام، وهي قضايا جديرة بالتأمل والدراسة؛ لتمددها في لغة القرآن بصورة لافتة؛ لذا رأيت أن أدرس (ظاهرة الحذف في التنزيل) لتسليط الضوء على بعض خصائص هذه اللغة السَّامِيَة.

ولابد من الإشارة- في هذا المقام- إلى أنني لم أتناول هذه الظاهرة باستقصاء واستقراء كلِّ أنواعها وأحوالها؛ فالمقام لا يتسع لذلك، ولكنّي اكتفيت بذكر نماذج لأنواع الحذف في لغة التنزيل سواءً أكان المحذوف حرفاً، أم فعلاً، أم اسماً، أم

(★) رئيس قسم النحو والصرف واللغة بكلية اللغة العربية بالجامعة .

جملة؛ لأن الغرض من هذه الدراسة ليس الاستقصاء، إنما هو إبراز هذه الظاهرة بوصفها تمثل سياقاً لغويًّا له دلالته في فهم النَّص؛ إذ تبرز أهمية هذه الدراسة في الآتي:

أ- أهمية الحذف في فهم النَّص القرآني.

ب- ارتباط الحذف بكل من الإيجاز والإضمار، وكلها ميزات للغة القرآن الكريم.

ج- استصحاب قضايا ضرورية لاستيعاب النَّص من نحو: الإلمام بقرائن الأحوال والمقام في دقة تقدير المحذوف.

د- كونها ظاهرة نحوية بلاغية ضرب فيها كل فريق بسهم.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد وأربعة مباحث تلتها خاتمة على النحو التالي:

التمهيد:

المبحث الأوَّل: نماذج لحذف الحرف في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: نماذج لحذف الفعل في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: نماذج لحذف الاسم في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: نماذج لحذف الجملة في القرآن الكريم.

الخاتمة.

التمهيد:

الحذف لغةً: الإسقاط؛ ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه. واصطلاحاً: إسقاط الكلام أو كله لدليل. (١)

والزركشي هو أوَّل من فرَّق بين الحذف والإيجاز من جهة، والحذف والإضمار من جهة أخرى، وذلك بعد الخلط الذي شاب هذه المصطلحات حيناً من الدهر. فالفرق بين الحذف والإيجاز- عنده- أن يكون في الحذف مقدَّر، نحو: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾(٢)، أي: أهل القرية، بخلاف الإيجاز فهو لفظ قليل لجملة معانٍ.

والفرق بين الحذف والإضمار هو أنَّ المضمر يبقى أثره في اللفظ، بخلاف الحذف؛ إذ لا يشترط فيه بقاء أثر للمحذوف.

والبلاغيون توسعوا في ذلك توسعاً ملحوظاً، يؤيد ذلك ما ذهب إليه عبدالقاهر الجرجاني في دلائله من إعلاء شأن الحذف حين قرَّرَ أنَّ: (ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبن). (٣)

---

(١) البرهان في علوم القرآن، بدرالدين محمدين عبدالله الزركشي، دار المعرفة للطباعة، بيروت لبنان، ط ١٠٢/٣/٢، وانظر الصحاح المسمَّي: تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، ت(٤٠٠)هـ بتحقيق: شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر،ط ١(١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، ١٠٢٨/٢- مادة (حذف).

(٢) سورة يوسف، الآية ٨٢.

(٣) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي،

أما النحويون فالذي أضطرهم- فيما يبدو- إلى إقرار ظاهرة الحذف والتوسع في ذلك هو تأويل كلِّ ما يصطدم بالأصل النحوي عندهم وتخريج ذلك بالركون إلى التأويل والحذف وهذا ظاهر لمتتبع هذه الظاهرة في مؤلفاتهم.

والحديث عن الحذف يتعداه إلى أبواب كثيرة في النحو تعدُّ نتاجاً لهذه الظاهرة، فلا حديث عن الحذف بمعزل عن العامل، والمضاف والمفعول والفاعل والصلة وعائدها، والشرط وجزائه إلى غير ذلك مما يطاله الحذف.

وأثر الحذف في قواعد النحو ظاهر لا يحتاج إلى دليل؛ فجملة [يَسْتَكْبِرُونَ] من قوله تعالى :﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [1] يحدّد الحذف إعرابها؛ فإن عُدّ خبر (كان) محذوفاً فإن جملة (يستكبرون) تعرب خبر (إنَّ) وإن عُدَّ خبر (إنَّ) محذوفاً فـ (يستكبرون) في محل نصب خبر (كان) ويقاس على ذلك أشباهه.

ولستُ-هنا- بصدد الآراء التي تجيز الحذف أو تمنعه فذلك موضوع قُتل بحثاً، ولكني أورد الظاهرة بوصفها ظاهرة ثابتة- وصولاً إلى استنتاجات من بينها: أنَّ هذه اللغة كلٌ يفسر بعضه بعضاً، وأنَّ التعمق عن كشف دلالة الحذف في التنزيل يعدُّ سبباً قوياً لفهم القرآن وتدبره.

وأمر الحذف في القرآن الكريم- خاصة- شائعٌ فاشٍ وقد اهتم به البلاغيون،والنحاة،ومعربو القرآن الكريم، وعقدوا له الفصول والأبواب، ولست-

---

القاهرة،ج.م.ع/١٤٦.

(1) سورة الصافات، الآية ٣٥.

هنا- بصدد إعادة ما قرروا؛ حتى لا يكون الحديث مكروراً ، ولكن حسبي من ذلك تناول ما يلي بإيجاز:

أولاً: حذف الحرف.

ثانياً: حذف الفعل.

ثالثاً: حذف الاسم.

رابعاً: حذف الجملة.

وسنركز- بحول الله- على الحذف في القرآن الكريم، حتى لا نبعد عن موضوعنا.

المبحث الأول : حذف الحرف

لابن السَّراج رأي في حذف الحرف أورده صاحب البرهان وهو أنَّ: (حذف الحرف ليس يقاس، وذلك لأنَّ الحرف نائب عن الفعل بفاعله ألا تراك إذا قلت: ما قام زيد فقد نابت (ما) عن (أنفي). [1]

وعلته في عدم قياسه هي: أن حذف الحرف يُعدُّ اختصاراً واختصار المختصر إجحافٌ به غير أنه لا ينكر جوازه في بعض الأحوال لقوة الدلالة عليه.

وحذف الحرف يكثر في التنزيل، وسوف اقتصر على النماذج الآتية:

- حذف حرف النداء.

- وحذف أحد الحرفين المتماثلين.

([1]) البرهان، ج ٢٠٩/٣.

- وحذف الياء تخفيفاً.
- وحذف الحرف المصدريّ (أن).
- وحذف لام الطلب.
- وحذف لا النافية.

أولاً: حذف حرف النداء:

وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة فمن ذلك قوله تعالى :﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا ﴾ [1]، ومنه قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي ﴾[2] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً ﴾[3].

وهذا يكثر في نداء (الرَّب) سبحانه وتعالى، ويعلل الزركشي لحذف الياء من نداء الرب تعليلاً موفقاً، وذلك ليزول معنى الأمر- بالحذف- ويتمخض التعظيم والإجلال؛ لأن النداء يتشرب معنى الأمر. [4]

وقد عدَّ بعضهم[5] أن ضم (ربُّ) في قراءة أبي جعفر الشاذة: (قُلْ ربُّ احكم بالحقِّ) [6] من هذا القبيل: أي: حذف (ياء) النداء من المنادى المفرد.

وقد ضعَّف ابن جني ذلك بقوله: (... هذا عند أصحابنا ضعيف أعني حذف

---

(1) سورة يوسف، الآية ٢٩.
(2) سورة مريم، الآية ٤.
(3) سورة المائدة، الآية ١١٤.
(4) انظر البرهان،ج ٣/٢١٠-٢١٤.
(5) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م، المجلد السادس، ج ٣٥١/١.
(6) سورة الأنبياء، الآية ١١٢. وهي قراءة حفص : چ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ چ

حرف النداء مع الاسم الذي يجوز أن يكون وصفاً لأي...). [1]

والنحاس يرى أنَّ ذلك لحن عند النحاة لأنه لا يجوز عندهم، رجل أقبل[2]، ولعل النحاس قد عبَّر عن رأي المبرد في هذه المسألة فهو- أي المبرد- لا يُجيز حذف (ياء) النداء في هذا الموضع، وعنده: (إنَّ كلَّ شيء من المعرفة يجوز أن يكون نعتاً لشيء فدعوته أن حذف ياء منه غير جائز...). [3]

وعلة ذلك عند المبرد: حتى لا يجتمع حذف الموصوف (أيٌّ) وحذف حرف النداء فلا تقل: غلامُ أقبل؛ لأن هذه الأشياء (غلام- رجل) يجوز أن تكون نعوتاً لـ(أيّ)، وخرَّج هذه القراءة على بناء (ربٌّ) على الضم وأنت تنوي الإضافة؛ لأن هذا ليس من نداء النكرة.

ثانياً: حذف أحد الحرفين المتماثلين:

وحذف المتماثلين في القرآن كثير،ومنه قوله تعالى:چ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ چ[4]. وهي قراءة إبراهيم، وأبي بكر الثقفي بتخفيف (الياء) في جميع القرآن. [5]

---

(1) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبوالفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، منشورات محمد علي بيضون ط ١ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ج ١١٣/٢.

(2) إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ت ٣٣٨هـ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهر، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ط ٢(١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، ج ٨٤/٣.

(3) المقتضب، صنعة أبي العباس محمد بن يزيد (٢١٠-٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ط ٢(١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م) ج ٢٥٨/٤، ٢٦٣.

(4) سورة آل عمران، الآية ٥٢.

(5) المحتسب، تحقيق على النجدي ناصيف، د. عبدالحليم النجار، ج.م.ع لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٨٦، ج ١٧٥/١.

وعلة ذلك عند ابن جني؛ لأن: (أصل هذه الياء أن تكون مشددة وإنما خففت استثقالاً لتضعيف الياء). [1]

ومن ذلك قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تخفيف(كذَّاباً) : ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾[2] . فقد جوز ابن جني ذلك (كذاباً) بالتخفيف إن كان (كذاباً) مصدر (كذب) الخفيفة. [3]

وثمَّت نوع من هذا القبيل نحتاجه لتفسير ظاهرة تكثر في آي الذكر الحكيم وهي تخفيف الحرف المدغم في الفعل، كنون الرفع المدغمة في نون الوقاية حال الإسناد إلى واو الجماعة، أي انتقال الفعل إلى خمسة الأفعال عن طريق الإسناد فقد قرأ نافع: (تبشرون) في الآية: ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ خلاف ابن كثير الذي شدَّد[4]. وعلى قراءة نافع فقد حذفت إحدى النونين لاجتماع المثلين.

ومثل ذلك تخفيف النون على قراءة نافع في كل من:﴿ تَأْمُرُوٓنِّيٓ ﴾ [5] و: ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي ﴾[6] وقد خالف (نافعاً) في ذلك من القراء: ابن كثير، وأبوعمرو، وعاصم، وحمزة،والكسائي. [7]

ومن ذلك حذف حرف المضارعة وهو (التاء) ويكثر في كلام العرب، وفي

---

(1) المرجع السابق، ج ١/ ١٧٥.
(2) سورة النبأ، الآية ٢٨.
(3) المحتسب، ج ١/١٧٥.
(4) كتاب: السبعة في القراءات، لابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط ٣، دار المعارف،ص ٣٦٧.
(5) سورة الزمر، الآية ٦٤.
(6) سورة الأنعام، الآية ٨٠.
(7) السبعة في القراءات/٢٦١.

التنزيل، فقد قرأ عاصم وحمزة، والكسائي﴿ تَظَٰهَرُونَ ﴾ [1] وفي التحريم:﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا ﴾ [2] بالتخفيف[3] أي تخفيف (الظاء) على حذف (تاء) المضارعة تخفيفاً للثقل الناجم عن الجمع والتكرير في الفعل،ومنه- أيضاً- قراءة حمزة والكسائي وعاصم:﴿ تَسَآءَلُونَ ﴾ [4] بالتخفيف على حذف إحدى التاءين[5]،ومنه قراءة حفص، وحمزة﴿ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [6] بفتح التاء وتخفيف السين (تَساقط) على أنه فعل مضارع حُذفت منه (التاء) تخفيفاً لاجتماع المثلين. ومن ذلك- أيضاً- قراءة حفص، وحمزة﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [7] بتخفيف (الذال) على أن الأصل (تتذكرون) [8].

ثالثاً: حذف الياء تخفيفاً:

وهذا النوع من الحذف يكثر في حشو الآي ورؤوسها فقد قرأ حفص، وحمزة وغيرهما:﴿ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ ﴾ [9] في الوصل بغير (ياء) كما قرأ ابن عامر،

(1) سورة البقرة، الآية ٨٥.
(2) سورة التحريم، الآية ٤.
(3) السبعة في القراءات /١٦٣.
(4) سورة النساء، الآية ١.
(5) السبعة في القراءات/٢٢٦.
(6) سورة مريم، الآية ٢٥.
(7) سورة الأنعام، الآية ١٥٢.
(8) الكشف عن وجوه القراءات السبعة وعللها وحججها، أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي(٣٠٠-٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ٨٨/٢.
(9) سورة الكهف، الآية ٦٤.

وعاصم، وحمزة، والكسائي:﴿ يَسْرِ ﴾ [1] بغير (ياء) في وصل، ولا وقف، غير أن الكسائي- كما يروي عنه أبوعبيدة- كان يقرأ دهراً (يسري) ثم رجع إلى غير ياء وذلك؛ لأنها رأس آية. [2]

أما الفراء فقد قرأ: (يسري) بإثبات (الياء) و(يسر) بحذفها، وحذفها كان أحبَّ إليه- كما زعم- لمشاكلتها رؤوس الآيات؛ ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتف بكسر ما قبلها. [3]

وبتتبع الآيات التي حذفت منها الياء- تخفيفاً- نجد قوله تعالى: چ چ چچ[4] وقوله تعالى:﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [5] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [6] وغير ذلك كثير.

ويبدو أن الذين تحدثوا عن حذف (الياء) تخفيفاً قد أغفلوا – في كثير من الأحيان- حذفها مع المضارع الذي أسند إلى واو الجماعة حال إسناده إلى (ياء) المتكلم، ثم حذف (الياء) وبقاء نون الوقاية للتخفيف ومراعاة الفاصلة، وهذا كثير فاشٍ في التنزيل، ومنه قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ [7] وقوله تعالى:

---

(1) سورة الفجر، الآية ٤.
(2) السبعة في القراءات /٦٨٣-٦٨٤.
(3) معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ت (٢٠٧هـ) تحقيق الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة الأستاذ/ على النجدي، دار السرور، ج ٢٦٠/٣.
(4) سورة البقرة، الآية ٤٠.
(5) سورة آل عمران، الآية ٢٠.
(6) سورة غافر، الآية ٣٨.
(7) سورة الحجر، الآية ٦٩.

﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [1].

رابعاً: حذف الحرف المصدريّ(أن):

في هذا المقام تظهر أهمية ما قرره الزركشي آنفاً من التفريق بين الحذف والإضمار؛ لأن إضمار (أنْ) المصدرية كثير لا سيما بعد الواو، واللام،والفاء،وحتى... وغيرها ففي هذه المواطن تضمر (أن) ويبقى أثرها في الفعل المضارع بعدها على خلاف في ذلك بين البصريين والكوفيين. [2]

والاهتمام –الآن- يتوجه إلى حذف (أن) في غير مواضع الإضمار تلك، وهو أمر ورد في التنزيل، فقد ذكر الزجاج أن: (حذف الموصول وإبقاء صلته منكر عندهم، ومع ذلك فقد جاء في التنزيل...). [3]

وأورد الزجاج أمثلة لذلك من القرآن- فيما نعده- من صميم هذه الدراسة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [4] أي: بأن لا تعبدوا، وعنده عادت النون في (يعبدون) لما حذفت (أن) [5]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ

(1) سورة الأنبياء، الآية ٣٧.
(2) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تأليف الشيخ كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي(٥١٧-٥٧٧)هـ، دار إحياء التراث العربي ط ٤ ذو القعدة ١٣٨٠هـ أبريل ١٩٦١م ج ٢/٥٥٥، ٥٥٧، ٥٧٥، ٥٩٣، ٥٩٧.
(3) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج تحقيق إبراهيم الأبياري ، من ٢، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، ط٢ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ٦٣٠.
(4) سورة البقرة، الآية ٨٣.
(5) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج/٦٣٠.

﴿ [1] أي: بأن لا تسفكوا دماءكم فحذفت (أن) وعادت النون، وقد ذكر صاحب المغني[2] أن حذفها مطرد في مواقع معروفة، فإن كان ابن هشام يقصد بالاطراد مفهومه الذي أرساه من ألفوا في أصول النحو[3] فأغلب الظن أنه يقصد الإضمار؛ لأن الحذف في غير مواضع الإضمار تلك ليس شائعاً بتلك الدرجة التي تبلغ الاطراد.

والسيوطي عندما يقرر: (أنه لا تنصب أن محذوفة في غير المواضع المذكورة وأنَّ جماعة أجازوا حذفها في غيرها...). [4] فهو لا يفرق بين الحذف والإضمار في هذه القضية بل الحذف عنده هنا هو ذات الإضمار بدليل قوله: (لا تنصب أنْ محذوفة).

خامساً: حذف لام الأمر:

ذكر صاحب التأويل النحوي في القرآن[5] أن من مواطن حذف (أن) قراءة النصب التي لم يقترن فيها المضارع بها، ومثَّل لذلك بقوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [6] وقدَّر

(1) سورة البقرة، الآية ٨٤.
(2) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ت (٧٦١هـ) تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمدالله مؤسسة الصادق للطباعة والنشر،ج ٨٣٩/٢.
(3) انظر (مفهوم الإطراد) مصطلحات علم أصول النحو دراسة وكشاف معجمي دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ٢٠٠١م، تأليف الدكتور أشرف ماهر محمود النواجي ص ٢٦.
(4) همع الهوامع في شرح الجوامع، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق الدكتور عبدالحميد هنداوي مج ٢، ص ٤٠٥ المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر بدون طبعة.
(5) التأويل النحوي في القرآن الكريم، الدكتور عبدالفتاح أحمد الحموز، مكتبة الرشد- الرياض ط ١ ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م،ص ٧٧١.
(6) سورة إبراهيم، الآية ٣١.

المحذوف بـ (أن يقيموا)، غير أني لم أجد لهذا الوجه تأييداً، فعند الفراء: (جُزمت يقيموا بتأويل الجزاء ومعناه- والله أعلم- معنى أمر). [1]

وذكر مثله قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [3].

وقد أورد النحاس[4] أقوال النحويين في (يقيموا) وذكر منها قول الفراء السابق، وقول أبي إسحق إذ المعنى عندهما: (ليقيموا) ثم حذفت اللام؛ لأنه تقدم الأمر.

وقد دعم صاحب الدر المصون[5] مذهب النحاس ومن قبله الفراء عندما أورد أورد أوجهًا كثيرة في (يقيموا) بمعنى: (ليقيموا) و(لينفقوا)، وإنما جاز حذف اللام؛ لأن الأمر الذي هو (قل) عوض منها. [6]

ويظهر- مما سبق- أن المحذوف هو (لام) الأمر وليس (أن) المصدرية كما ذهب صاحب التأويل النحويّ في القرآن. والذي يبدو لي أن هذا أقوى الأوجه في (يقيموا) وما على شاكلتها من أفعال؛ يؤكد ذلك أن ما قبل هذا الفعل قول بصيغة الأمر: (قل) وقد جعل ابن هشام حذف (اللام) هنا مطرداً عند بعضهم في: قل له

---

(1) معاني القرآن، الفراء، ج ٢/٧٧.
(2) سورة الجاثية، الآية ١٤.
(3) سورة الإسراء، الآية ٥٣.
(4) إعراب القرآن، النحاس، ج ٢/٣٧٠.
(5) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦هـ تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١٤١١/١-١٩٩١م ج ١٠٤/٧.
(6) انظر الكشاف، تأليف أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر، ط ٣٩٩هـ ج ٣٧٨/٢.

يفعل)[1] أي ليفعل، ثم أورد الآية السابقة، وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2].

ومن مواضع حذف (لام الأمر) وبقاء المضارع بعدها مجزوماً قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [3] قيل انجزم (يأخذوا) على إضمار (اللام) إذ التقدير: (ليأخذوا) [4] وقد استشهد سيبويه بجواز ذلك في الشعر بقول الشاعر: [5]

محمدُ تفد نفسك كلّ نفسٍ إذا ما خفت من أمر تبالا

إذ التقدير- عنده- (لتفد) ولئن أجاز سيبويه حذف هذه اللام في الشعر فقط وأبقى عملها مضمرة؛ وذلك عنده: (كأنهم شبهوها بـ"أن" إذا عملت مضمرة) فإن المبرد قد منع ذلك حتى في الشعر قال: (والنحويون يجيزون إضمار هذه اللام للشاعر إذا أضطر فلا أرى ذلك على ما قالوا، لأن عوامل الأفعال لا تضمر وأضعفها الجازم، لأن الجزم في الأفعال نظير الخفض في الأسماء...). [6]

ورأي المبرد هذا يمثل صدى لرأي إمام البصرة قبله حيث حكي سيبويه:

---

(1) المغني، ج ٢/ ٨٤٠.
(2) سورة الإسراء، الآية ٥٣.
(3) سورة الأعراف، الآية ١٤٥.
(4) الدر المصون، ج ٤٥٢/٧.
(5) البيت أنشده سيبويه ج ٤٠٨/١، وهو شاهد على حذف لام الأمر للضرورة وقد زعم المبرد: أن قائله مجهول، انظر المقتضب، ج ١٣١/٢ والبيت ينسب إلى أبي طالب، وحسان، والأعشي، وانظر المغني ٢٤٨، وشرح شواهده ٥٩٧، وأمالي الشجري وشرح الفصل ٣٥/٧ والتبال: سوء العاقبة وهو بمعنى: الوبال فكأن التاء بدل من الواو.
(6) انظر المقتضب،ج ١٣١/٢، والإنصاف/٣٠٦، وشرح شواهد المغني تأليف الإمام جلال الدين السيوطي ت (٩١١) ج ٢ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، القسم الثاني/٥٩٧-٥٩٨.

(والجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء فليس للاسم في الجزم نصيب، وليس للفعل في الجر نصيب، فمن ثم لم يضمروا الجازم كما لم يضمروا الجار...). [1]

غير أن سيبويه يجيز ذلك الحذف في الشعر ويرى أن الشاعر أضمر ذلك (شبَّهه بإضمارهم رُبَّ وواو القسم في كلام بعضهم). [2]

ومن مواضع حذف لام الأمر قراءة زيد بن علي الشاذة (تؤمنوا وتجاهدوا) : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [3] فقد ذكر أبوحيان أنها تتوجه على حذف لام الأمر، والتقدير (لتؤمنوا). [4]

سادساً: حذف لا النافية:

ذكر ابن هشام[5] أن حذف (لا) يطرد في جواب القسم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [6] أي: لا تفتأ.

وقد ذكر أبوحيان أن حذفها هنا للعلم[7] بها بينما علل الزركشي[8] حذفها لملازمتها للنفي ومعناها لا تبرح.

ومن مواضع حذف (لا) النافية: كونها في المصادر المؤولة مع(أن وما في

---

(1) كتاب سيبويه ج ٣/٨.
(2) نفسه ج ٣/٨.
(3) سورة الصف، الآية ١١.
(4) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤-٧٥٤هـ) دار الفكر، ط ٢(١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) ج ٨/٢٦٣.
(5) المغني، ج ٢/٨٣٤.
(6) سورة يوسف، الآية ٨٥.
(7) البحر المحيط ج ٥/٢٣٩.
(8) البرهان ج ٣/٢١٥.

حيزها) ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ ﴾ چ [1] أي: لئلا تضلوا، وعلى هذا يكون المحذوف: حرف الخفض، وحرف النفي(لا) ومفعول الفعل [يُبيِّن] وهو قول الفراء، والتقدير عنده: ألا تضلوا، وعلة ذلك أنه متى صلحت (لئلا) و(كيلا) في موضع (أن) صلحت (لا). [2]

ومن هذا القبيل قوله تعالى:﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾ [3] قدره صاحب البرهان[4] بقوله: أي: لا تميد

وغيره[5]: لئلا تميد بكم.

والزمخشري: كراهة أن تميد بكم وتضطرب[6] وعلى قول الزمخشري فلا حذف لـ(لا)وإنما حذف المضاف وبقي المضاف إليه وهو كثير في القرآن، ويقال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ ﴾ [7] ما قيل في في سابقتها.

ومن مواضع حذف (لا) النافية في غير ما ذكر، قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ ﴾[8] أي: لا يطيقونه، ذكره الزركشي[1] وعنده أن هذا

---

(1) سورة النساء، الآية ١٧٦.
(2) معاني القرآن، الفراء، ج ٢٩٧/١.
(3) سورة النحل، الآية ١٥.
(4) البرهان، ج ٢١٥/٣.
(5) مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط ٤(١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) ج ١٣/٢ وحاشية الشهاب المسماة نهاية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي دار صادر بيروت ٣١٩/٥.
(6) الكشاف، ج ٤٠٤/٢.
(7) سورة الكهف، الآية ٥٧.
(8) سورة البقرة، الآية ١٨٤.

هذا التقدير القائم على حذف(لا) النافية يزيل الإشكال من هذه الآية.

ومن النحاة من ذهب مذاهب شتي في إثبات دلالة (يُطِيقُونَهُۥ) معتمداً على وزن (أطاق) وهو (أفعل) إذ يجئ هذا الوزن لمعان من بينها الوجدان كما تقول: أحمدته، أي (وجدته محموداً) [٢] والمعني: على الذين وجدوا ذوي إطاقة فدية.

وعلى قراءة (يُطوَّقونه) [٣] بتشديد الواو والبناء لما لم يُسمَّ فاعله وماضيه (طَوَّق) بالبناء للمعلوم، وبابه فعَّل بتشديد العين من بين معانيه التكليف، وطوقه حمل الشيء (إذا كلَّفه) [٤] وعلى هذا المعنى يصبح التقدير على الذين يُكلفون الصيام فدية.

ومن قرأ (يطَوَّقونه) [٥] بالبناء للمعلوم مع التشديد فأصله (يتطوقونه) وهذا الإدغام فاشٍ فعلى مطاوعة (تفعَّل) لـ(فعَّل) والمعنى: على الذين كلفناهم الصيام فتكلفوه فدية. [٦]

وقد وجَّه ابن جني هاتين القراءتين فقال: (... أما عين الطاقة فواو، لقولهم لا طاقة لي به، ولا طوق لي به، وعليه من قرأ (يُطوَّقونه) فهو (يُفَعَّلونه) فهو كقوله: يجشمونه ويكلفونه ويجعل لهم كالطواقي في أعناقهم وأمَّا (يَطَّوَّقونه) فـ(يتفعلونه) –

---

(١) البرهان، ج ٢١٥/٣.
(٢) إملاء ما من به الرحمن: ٨١/١.
(٣) وهي قراءة ابن المسيِّب وطاوس وسعيد بن جبير وجاهد وابن عباس وعائشة رضي الله عنها انظر المحتسب: ١١٨/١.
(٤) انظر الصحاح: ١٥١٩/٤، (طوق).
(٥) وهي قراءة مجاهد، انظر المحتسب: ١١٨/١.
(٦) انظر شرح الشافية: ١٠٤/١، ١٠٥ وينظر البحر: ٣٥/٢.

بفك الإدغام- كقوله: يتجشمونه ويتكلفونه وأصله: يتطوقونه فأبدلت التاء طاءً وأدغمت في الطاء). [1]

وهناك من جوَّز كون همزة (أطاق) للسلب فمعنى﴿ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ أي: زالت طاقتهم عن الصيام[2]. وعلى ذلك فأبوحيان لا يوافق من زعم بحذف (لا) في (يُطِيقُونَهُۥ) ويعدّ ذلك من الخطأ، لأن الفعل مثبت ولا يجوز حذف لا وإرادتها إلا في القسم. [3]

وقد دعمت بنت الشاطئ[4] مذهب أبي حيان في عدم جواز الحذف في هذا الموضع، لأنه موضع إلباس، ثم زادت: (... ولعل الذين تأولوا الآية على تقدير حذف (لا) صراحة أو مآلا- فهموا يطيقونه بمعنى يستطيعونه- وليست الكلمتان سواء.). [5]

ثم راحت تؤكد مذهبها معتمدة على الفرق بين اللفظين في الدلالة، فالاستطاعة تحمل معنى الطواعية والمواتاة، أما الطاقة فهي أقصى الجهد ونهاية

---

(1) المحتسب: ١١٨/١.

(2) البحر: ٣٥/٣، وانظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي البغدادي(ت ١٢٧٠هـ) تصحيح وتعليق السيد محمود شكري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٤ (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م): ٣٧٠/١.

(3) البحر المحيط: ٣٦/٢.

(4) بنت الشاطئ عائشة بنت عبدالرحمن ١٩١٣ ١٩٩٨م ، أديبة مصرية معاصرة، حاصل على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة عين شمس ، أستاذ التفسير والدراسات العليا في جامعة القرويين بالمغرب ، لها : (القرآن والتفسير العصري ، تراجم سيدات بيت النبوة، الخنساء وأرض المعجزات) ، انظر: الموسوعة العربية الميسرة ، ط ٢، ٢٠٠١م ، الجمعية المصرية ، دار الجيل بيروت، ١٥٩٢/٣.

(5) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية مكتبة الدراسات القرآنية الدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ ، ط ٢ دار المعارف، القاهرة، ج.م.ع ص ١٩٧.

الاحتمال، واستأنست في ذلك بقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [1].

ثم عرضت قول الزمخشري في تفسير﴿ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ أي: يتكلفونه على جهد منهم وعسر، منتهية من ذلك إلى القول ببقاء الآية على صريح لفظها دون حذف وهي مرادة.

والذي تميل إليه النفس ـ بعد كل هذا العرض والاستقراء ـ في﴿ يُطِيقُونَهُۥ ﴾ هو عدم تقدير محذوف وذلك وجيه من عدة أوجه وهي:

الأوَّل: أن الذين تعرضوا لـ(يُطِيقُونَهُۥ) لم يفرقوا تفريقاً دقيقاً بين الاستطاعة والإطاقة فالاستطاعة درجة فوق الإطاقة إذ هي مقدرة الإنسان دون جهد مبالغ فيه ولا راحة، أما الإطاقة فهي القيام بالعمل مع مزيد من الجهد والعناء وهو المطلوب هنا.

الثاني: يؤيد ما سبق أن الله عزَّ وجل لم يصف ذاته بأنه مستطيع أو مطيق ـ تعالى الله عن ذلك ـ إنما وصف ذاته بالقدرة فهو على كل شيء قدير، والقدير بمعنى القادر من نظائر: فعيل بمعنى فاعل مثل(كريم).

الثالث: إذا دلت الكلمة على معنى من المعاني دون تقدير لمحذوف أو تكلف يسمح باحتمال دلالات جديدة، فالأولى اعتبار هذه الدلالة والأخذ بها، حتى لا تتسع دائرة الاحتمالات فمن يرى مثلاً ـ أن (أفعل) هنا للسلب فللبناء (أفعل) دلالات كثيرة عدا السلب كالجعل والتعدية والاستحقاق والوجدان وغيرها كل ذلك يصرف

(1) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

الإطاقة في (يُطِيقُونَهُۥ) إلى الإطاقة من الاحتمال بأقصى الجهد فقد ذكر ذلك غير واحد.

المبحث الثاني : حذف الفعل

حذف الفعل بوصفه عاملاً في غيره يشيع في التنزيل بدرجة لافتة، ولما كان الفعل هو أهم العوامل، وذلك باستقراء كلام العرب، ونمط نظم الجملة العربية فقد اتجه الدرس النحوي في بدايته نحو الفعل (إثباته، وحذفه، وعمله، وزمنه وإسناده).

ولوحظ أن الفعل العامل يكثر حذفه في كلام العرب وفي القرآن الكريم، ومن ذلك حذفه في باب المفعُول المطلق نحو قولك: صبراً على المكاره، ويحذف في باب الاشتغال في نحو: (زيداً أضربه) على خلاف في ذلك بين البصريين والكوفيين[1] فعامل النصب في زيد محذوف يفسره المذكور بعده الذي انشغل عنه بنصب الضمير، والتقدير: اضرب زيداً اضربه، وحذف الفعل في باب الاشتغال هو اختيار سيبويه إمام البصريين وقد عبَّر عن ذلك بقوله: (وإنما قلت زيداً اضربه، واضربه مشغولة بالهاء لأن الأمر والنهي لا يكونان إلا بالفعل، فلا يستغني عن الإضمار إن لم يظهر). [2]

ومن العوامل التي تحذف عامل النصب في المخصوص في نحو: نحن العرب نكرم ضيفنا.

---

(1) انظر الإنصاف، ج ٨٢/١.
(2) الكتاب، ج ١٤٤/١.

وقد توسع سيبويه في الحديث عن حذف العامل- لاسيما عامل النصب- وعقد لذلك باباً بعنوان: (هذا بابٌ يحذف منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل...) [1] وعلة الحذف عنده تفسرها مفردات العنوان: (لكثرته في كلامهم) ومن ذلك قولهم: (كليهما وتمراً) فهو مثل قد كثر في كلامهم والتقدير: أعطني كليهما وتمراً، وقولهم: (كلَّ شيٍ ولا هذا) أي: أئت كل شيء ومن ذلك قوله تعالى: چ ٱنتَهُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡ چ [2] أي: أئتوا خيراً لكم ونظير ذلك كثير في كتاب سيبويه، ويبدو أن ذلك الذي دفع شوقياً إلى القول: (... ويخيل لمن يتابع سيبويه أن ليس في اللغة معمول لا يحذف وحتى الجملة تحذف...). [3]

وكما يحذف عامل النصب فقد يحذف عامل الرفع، ومنه حذف عامل الرفع في الفاعل إن دلت عليه قرينة، في نحو قوله تعالى:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ [4] فقد أعربوا ما بعد (إِذَا) وهو(ٱلسَّمَآءُ) فاعلاً لفعل محذوف تقديره [انشقت] يفسره المذكور بعده، وهو اختيار البصريين. والكوفيون يرون غير ذلك[5] والذين قالوا بحذف الفعل فقد أوجبوا إضافة إذا الشرطية إلى الجملة الفعلية فقط، ومنعوا إضافتها

(1) المصدر نفسه، ج ١/٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢.
(2) سورة النساء، الآية ١٧١.
(3) المدارس النحوية، الدكتور شوقي ضيف، ط ٦، دار المعارف القاهرة، ج.م.ع/٧٥.
(4) سورة الانشقاق، الآية ١.
(5) ورأى الكوفيين أن ما بعد (إذا) مبتدأ إذا كان اسماً، وتبعهم في ذلك الأخفش وابن مالك في بعض أقواله، وأبوحيان الذي زعم أن مذهب الجمهور في هذه القضية فاسد من وجوه، انظر الدر المصون ج ١٠/٦٩٩، وانظر الجني الداني في حروف المعاني، صنعة الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط ١(١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)/٣٦٨-٣٨٢.

إلى الجملة الاسمية. وقد تحمس لمذهب الكوفيين صاحب نظرية النحو القرآني[1] مضيفاً التعديل التالي على قاعدة البصريين (تجوز إضافة إذا الشرطية إلى الجملة الفعلية كثيراً والاسمية قليلاً) مستشهداً بجملة من الآيات نيَّفت على العشرين آية، وحشد ما يربو على المئات الست من الأبيات الشعرية (دخلت فيها إذا على الجملة الاسمية خلافاً لما يراه جمهور النحاة..) [2] [هكذا].

وأرى أن عبارة الدكتور الأنصاري- عاليه- تنقصها الدقة فجمهور النحاة يعرفون كل هذه الشواهد ولكنها عندهم- أعنى الجمل بعد- إذا فعلية على تقدير محذوف، وإن كانت عندهم اسمية فليس هناك خلاف. ولكي تكون العبارة أكثر دقة فعليه أن يقول: (جاءت فيها إذا متلوة بالاسم لا الفعل) ليترك الخلاف حول إعراب هذا الاسم بين البصريين والكوفيين قائماً.

وعموماً فحشد الدكتور أحمد مكي الأنصاري لهذه القائمة من الآيات والأبيات الشعرية لا يمثل- فيما أرى- شاهداً على رأى مخالف لرأى قائم فما يراه الأنصاري من جملٍ اسمية تلت(إذا) الشرطية قلّت، أو كثرت- فهي عندهم فعلية على تقدير عامل محذوف، وكثرة دخول (إذا) على الاسم لا تبرر كونه مبتدأ. والله أعلم.

المبحث الثالث حذف الاسم:

---

(1) نظرية النحو القرآني (نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية) أحمد مكي الأنصاري أستاذ الدراسات النحوية بقسم الدراسات العليا كلية اللغة العربية جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط ١ ١٤٠٥هـ/١١٤ وما بعدها.

(2) نفسه/٢٠٥.

لن أفصِّل القول في حذف الاسم (مرفوعه ومنصوبه ومجروره) في القرآن الكريم فذاك باب واسع، ولكن يتوجه الاهتمام إلى بعض قضايا المحذوف الاسمي في التنزيل بغرض تعميم هذه الظاهرة على الحروف والأفعال والأسماء وسأكتفى بعرض بعض النماذج لحذف الأسماء على النحو التالي:

أ/ حذف المضاف.

ب/ حذف الفاعل.

ج/ حذف المفعول.

(أ) حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه:

ويكثر هذا الضرب من الحذف في القرآن الكريم ويشترط المبرد لجواز ذلك وجود قرينة أو دليل على المحذوف ومثَّل لذلك بقول الشاعر: [1]

إلاَّ عُلالـــــــــــة أو بُـــــــــــدا * هـــة قـــارحٍ نهـــد الجـــزارة

فقد ذكر أنه: (أراد: الاعُلالةَ قارحٍ أو بداهة قارحٍ فحذف الأول لبيان ذلك في الثاني). [2]

كما علق المبرد على قراءة أبي جعفر الشاذة:(قُلْ ربُّ احكم بالحقِّ)[3] بقوله: (.... فتبني كل ذلك على الضم وأنت تنوى الإضافة ولا يتوهم أن ضمه على أنه

---

(1) البيت أنشده المبرد لإثبات حذف المضاف وهو من مجزوء الكامل من قصيدة الأعشي في هجاء شيبان بن شهاب المقتضب ص ٢٢٨ والعلالة بقية كل شيء، البداهة: أول جري الفرس، القارح: من الخيل الذي بلغ خمساً من السنين، النهد: المرتفع، الجزارة: بضم الجيم الرأس والبدانة والرجلان وهو ما يأخذه الجزار عندما يذبح.

(2) المقتضب ج ٢٢٨/٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١١٢. وهي بقراءة حفص (قُلْ ربّ احكم بالحقِّ)

منادى مفرد، لأن هذا ليس من نداء النكرة). [1]

والزجاج يرى أن قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [2] من هذا القبيل، والتقدير: مالك أحكام يوم الدين، ويقرر أنه (ليس من هذه الأبواب في التنزيل أكثر من هذا) [3]

ويرى أيضاً أن قوله تعالى: ﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ [4] من هذا القبيل والتقدير: في صحته وتحقيقه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [5] أي أسباب الموت.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [6] أي أهل القرية.

وقد أفرد الزجاج لهذا الضرب من الحذف باباً من أربع وخمسين صفحة، وقد ذكر ابن الأنباري: (أن الشواهد على ذلك [حذف المضاف] أكثر من أن تحصى). [7]

والمضاف قد يكون معمولاً يطلبه العامل وهو من الأفعال الخمسة فيحذف ذلك المفعول على تقدير أنه مضاف أقيم ما أضيف إليه مقامه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴾[8] أي: هل يسمعون دعاءكم، بدليل

(1) المقتضب، ج ٢٦٣/٤.
(2) سورة الفاتحة، الآية ٤.
(3) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج /٤١.
(4) سورة البقرة، الآية ٢.
(5) سورة المائدة، الآية ١٠٦.
(6) سورة يوسف، الآية ٨٢.
(7) الإنصاف، ج ٣٧٢/١-٣٧٦.
(8) سورة الشعراء، الآية ٧٢.

قوله تعالى في غير هذه الآية:﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ [1] ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [2] فقد طلب (تجعلون) مفعولاً حذف على تقدير إضافته إلى (رزقكم) أي: وتجعلون شكر رزقكم.﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ ﴾

ومن الأفعال الخمسة التي تطلب مفعولين حذف أحدهما بوصفه مضافاً أقيم المضاف إليه مقامه، الفعل (تجعلون) في قوله تعالى:﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ ﴾ [3] أي ذا قراطيس.

وقد يحذف المتضايفان في التنزيل ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [4] أي: من تراب أثر حافر فرس الرسول. [5]

(ب) حذف الفاعل:

ذكر ابن جني أن: (إضمار الفاعل للدلالة عليه واسع فاشٍ عنهم) [6] والظاهر والظاهر أن ابن جني يقصد بالإضمار الحذف ليس ذلك هنا فحسب بل تطالعنا عبارات كثيرة في معنى الحذف دون ذكره صراحة عنده منها مثلاً: (ألغوا ذكر الفاعل، مظهراً أو مضمراً، فرفض الفاعل هنا البتة، وجهه على إضمار الفاعل).[7] الفاعل).[7]

---

(1) سورة فاطر، الآية ١٤.
(2) سورة الواقعة، الآية ٨٢.
(3) سورة الأنعام، الآية ٩١.
(4) سورة طه، الآية ٩٦.
(5) شرح المفصَّل، لابن يعيش، موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوي المتوفى سنة ٦٤٣هـ عالم الكتب ببيروت ، من غير طبعة ج ٣١/٣.
(6) المحتسب ج ١٧٠/١.
(7) انظر المحتسب ج ٦٥/١، ١٤٣، ١٥٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ١٧٠، ٢٣١.

ومن يتصفح المحتسب يجده قد عرض لحذف الفاعل في غير موضع والغرض من حذف الفاعل: (إنما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حسب، وليس الغرض فيه ذكر من أوقعه به...). [1]

ويبدو أن صاحب نظم الدرر قد وقف على قول ابن جني السابق عندما قرر أنه: (لما كان المرهوب الحشر نفسه، لا يقيد كونه من معين، بني للمفعول قوله (يحشروا) [2] في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾[3].

ويعدد الزركشي[4] مواضع يكثر فيها حذف الفاعل في التنزيل منها:

* العلم به نحو قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [5].

وقد دعم الزركشي اتجاهه هذا بقول ابن جني: (وضابطه [أي الحذف] أن يكون الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول، ولا غرض من إبانة الفاعل من هو...).

* ومنها تعظيمه ، نحو قوله تعالى: ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[6].

---

(1) نفسه ج ١٣٥/١.
(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبوالحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥هـ ، ج ٧، ط ١ ١٣٩٣هـ،ص ١٢٦.
(3) سورة الأنعام، الآية ٥١.
(4) البرهان، ج ١٤٢/٣.
(5) سورة الأنبياء، الآية ٣٧.
(6) سورة يوسف، الآية ٤١.

* ومنها مناسبة ما تقدمه، نحو قوله تعالى:﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [1]؛ لأن قبلها:﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [2].

* ومنها مناسبة الفواصل نحو قوله تعالى:﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾[3] ولم يقل يُجزيها..

والسيوطي يذكر الحذف في غير موضع من الهمع[4] ولعل الزركشي في حديثه عن (الحذف) كان أكثر دقة؛ ذلك لتفريقه الواضح بين الحذف والإضمار وكأنه قد لمس موطن الخلط بين المصطلحين (الحذف والإضمار) لدي النحويين والمعربين للقرآن الكريم في هذا الباب.

ولكن الأمر اللافت لمن يستعرض هذه الآراء في مظانها من كتب النحو والتفسير يجد أن التعويل- بدرجة كبيرة- على الفعل في زمنه الماضي لعرض ظاهرة حذف الفاعل؛ فالأفعال التي أوردوها أمثلة لظاهرة البناء للمجهول كانت في الزمن الماضي. وابن جني عندما عرض لأفعال لازمها البناء للمفعول ذكرها في أزمنتها الماضية فهو يقول: (وأسند بعض الأفعال إلى المفعُول دون الفاعل البتة، وهو قوله: أُولِعْت بالشيء ولا يقولون: أولعني به كذا. وقالوا ثُلِّج فؤاد الرجل ولم

(1) سورة التوبة، الآية ٨٧.
(2) سورة التوبة، الآية ٨٦.
(3) سورة الليل، الآية ١٩.
(4) انظر: همع الهوامع، ٢/٢٥٥-٢٥٦.

يقولوا: تلَّجه كذا...). [1]

ويبدو لي أن سبب ذلك هو اهتمام النحاة بتفسير الظاهرة من حيث هي ظاهرة تكثر في التنزيل دون النظر في التفصيل في زمن الفعل، غير أننا نرى أنه لما كان الاهتمام منصَّباً على تفسير هذه الظاهرة (البناء لما لم يسمَّ فاعله) داخل السياق القرآني، كان مهماً أن يُلتفت إلى الفعل في زمن الحال أو الاستقبال؛ لأن بناء هذا النوع من الأفعال للمفعول له دلالاته اللفظية، وقضاياه النحوية والصرفية التي لا تتوفر في الماضي حال بنائه للمفعول لاسيما الأفعال المضارعة التي وقعت في خواتم الآيات نحو: (تُوعدون، يُهرعون، تُرحمون، يُؤفكون، تُخرجون...). [2]

وبالجملة فإنَّ الاستغناء عن الفاعل في أسلوب التنزيل كثير سواءً أكان ذلك الحذف بالبناء للمجهول أم بالاستغناء عن ذكره وإسناده إلى غير فاعله مطاوعة أو مجازاً، ولبنت الشاطئ رأي مهم في هذا الباب، وهو أنها ترى: (اطراد ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في البيان القرآني في موقف القيامة...). [3]

وساقت لذلك أمثلة من آي الذكر الحكيم تضمنت آيات من (التكوير، والعاديات، والفجر، والواقعة) ثم أوردت سائر آيات النفح في الصور، ومنها: (الكهف: ٩٩، المؤمنون: ١٠١، يس: ٥١، الزمر: ٦٨، ق: ٢٠، الأنعام: ٧٣، طه: ١٠٢، النحل: ٨٧، النبأ:١٨...).

---

(1) المحتسب، ج/٦٥.
(2) انظر: الأنبياء: ١٠٣، هود: ٧٨، آل عمران: ١٣٢، المائدة: ٧٥، الأعراف: ٢٥.
(3) الإعجاز البياني للقرآن/٢٤٠-٢٤١.

ولا ريب أن استنتاجها طريف ذو قيمة؛ فقد أقامته على استقصاء جيد لظاهرة حذف الفاعل، ولكنها لم تذكر من الأفعال التي بنيت للمفعول ما جاء بصيغة المضارع، عدا ما أوردته من المضارع في الآيات التي تحدثت عن النفخ في الصور وهو الفعل(يُنفخ) خاصة، أما ما عداه من المضارع الذي بني للمفعول فلم يرد له ذكر في حديثها.

ويبدو أن إغفالها ذكر المضارع في هذا الباب، هو أن ما أوردته من نماذج لم يتعدَّ الآيات المكية، فهي لم تعرض نموذجاً واحداً من السور أو الآيات المدنية التي تكثر فيها صيغ بناء المضارع للمجهول خاصة المضارع الذي أسند على واو الجماعة أو ألف الاثنين أو ياء المخاطبة.

(ج) حذف المفعول:

جوَّز النحاة حذف المفعول؛ لأنه (فضلة) والفضلة عندهم محل استغناء، ولم يطلبوا الدليل على المحذوف الذي طلبوه عند حذف الفاعل الذي حسبوه (عمدة). وأرى أن هذا الفهم -على عمومه وإطلاقه- فيه نظر؛ فاللغة تحكمها الدلالة ومحكها الإبانة مع مراعاة المقام، فما يقتضيه المقام- الآن- من ذكر قد يصبح الحذف فيه أولى في غير هذا المقام، فذكر المفعول في بعض الأحيان أولى من حذفه، وحذف الفاعل- أحياناً- أولى من ذكره. ولست أحاول إحصاء ما في التنزيل من حذف المفعول حتى لا تتوالى الفتوق، فحذفه كثير لا يركبه إلا من قوى طبعه وهو أقوى

دليل على قوة عربية الناطق.[1]

وقد ذكر الزركشي[2] ضربين لحذف المفعول:

الأول: أن يحذف وهو مقصود، وينوى لدليل، أو يقدر ومرد ذلك التخفيف.

والثاني: ألا يكون مقصوداً أصلاً، فتحذفه معرضاً عنه ولا تقدِّره فيصير من قبيل الأفعال اللازمة.

ومثل الأوَّل قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[3].

والثاني نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾[4].

ويقرر صاحب البرهان وهو يعرض لقوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] أن المفعول هنا محذوف و(يُسمى) في مثل هذه المواضع (مُماتاً).. ولعلَّ في كلمة (مماتا) هذه نظر؛ ذلك لأن الحذف في هذا الموضع وأشباهه[6] من البيان ما لا يخفي ففي قوله تعالى:﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾[7] نعم لم يرد الأكل من معين وإنما المراد وقوع الفعلين وحسب كما قرر ابن جني، الأمر الذي صرف بعضهم إلى غرض واحد هو الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل، وعدُّوا الفعل من الأفعال اللازمة، بل أنكر بعضهم هذا الحذف بقوله: (... ولما كان

(1) المحتسب، ج ٢/٣٣٥-٣٥٦.
(2) البرهان، ج ٢/١٦٢.
(3) سورة البروج، الآية ١٦.
(4) سورة البقرة، الآية ٢٤.
(5) سورة الزمر، الآية ٩.
(6) انظر مثلاً، البقرة: الآيتان ٦٠، ٢٤.
(7) سورة البقرة، الآية ٦٠.

التحقيق أنه لا يعد هذا من المحذوف، فإنه لا حذف بالكلية) [1] والذي أميل إليه أن هناك مفعولاً محذوفاً ولكنه غير محدد، وبلاغة النظم تقتضي عدم ذكره؛ لينصرف الذهن إلى تقديره فإذا كان من ينكر هذا الحذف بالكلية يتكئ على قاعدة أن الغرض هو الفعل لا المفعول، فهذا لا يمنع وجود مفعول محذوف حتى ولو لم يكن مطلوباً.

ومن مواطن حذف المفعول في القرآن الكريم:

- إذا كان عائد اسم الموصول وهذا يشيع في مواضع كثيرة ولا سيما العائد الواقع بعد الأفعال التي تشكل رؤوساً لآي القرآن نحو قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [2] أي: تعلمونه، وقوله تعالى: ﴿ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ [3] أي: تبدونه وتكتمونه.

- في موضوع التهويل والتخويف:

ومن ذلك قوله تعالى:﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴾ [4] فحذف ما يتعلق به العلم (المفعول) على سبيل التهويل أي: سيعلمون ما يحل بهم. [5]

ومنه قوله تعالى:﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾[6]. أي تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه. وكذلك في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾

(1) وهو الزركشي ، انظر: البرهان ج ١٧٦/٣.
(2) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(3) سورة البقرة، الآية ٣٣.
(4) سورة النبأ، الآية ٤-٥.
(5) البحر المحيط، ١١٤/٨.
(6) سورة التكاثر، الآيتان ٣-٤.

(١) حذف والتقدير: ما بين أيديكم، علم الأمر اليقين، أي كعلمكم ما تستيقنون من الأمور). (٢)

- **إذا كان غير مراد:**

وهو الضرب الثاني الذي ذكره الزركشي في أول هذا المطلب فعندما تقول لمكلف تراه يأكل في نهار رمضان: [أتأكل في نهار رمضان؟] فأنت لا تريد جنس المأكول، بل إثبات الأكل، وهو من هذا القبيل إذ المفعول غير مراد، ومن ذلك قوله تعالى: چ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ چ(٣) وقد سبق فيها القول؛ إذ المقصود الأكل لا المأكول، كذا الشرب لا المشروب، فهما (المأكول، والمشروب) ليسا منويين ومن ذلك- غير المراد- قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِ ﴾ (٤) أي: تذودان غنمهما عن الماء، أو تذودان الناس عن غنمهما والمقصود: الذود لا المذود. وفيه يقول الزمخشري: (تُرك لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذِّياد وهم على السَّقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم وسقيهم إبل مثلاً...). (٥)

- ومن مواطن حذف المفعول، إذا تقدم عليه مثله في الإعراب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾ (٦) أي: وما يستأخرونه

(١) سورة التكاثر، الآية ٥.
(٢) الكشاف، ج ٢٣١/٢.
(٣) سورة البقرة، الآية ٦٠.
(٤) سورة القصص، الآية ٢٣.
(٥) الكشاف، ج ١٧٠/٣.
(٦) سورة الحجر، الآية ٥.

حذف الضمير وهو المفعول لتقدم مذكور يُعرب مثله (أجلها) ومنه قوله تعالى:﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [1] أي: ويثبته.

- ومن مواطن الحذف ما كان لرعاية الفاصلة، وفي رؤوس الآي ولقد وجدت الاهتمام يتوجه إلى آيات بعينها في هذا المقام حُذف المفعول في كل منها لمراعاة الفاصلة، ومنها آيات: (الضحى ١١، والنازعات: ١٨-٣٢).

وغير ذلك كثير ولا سيما الحذف الذي يعترى الأفعال في رؤوس الآيات نحو قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] و ﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [3] وقوله سبحانه:﴿ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [4].

فبعد كل صيغة من صيغ الأمثلة الخمسة فيما سبق مفعول حُذف.

- ومن مواضع حذف المفعول إذا كان للعموم:

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ [5] أي: شيئاً، ولا تذر ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[6] وشرط ذلك –هنا-أن تكون (ما) نافية، والتقدير، ما تغني شيئاً حيث أفادت شيئاً العموم أما إذا كانت (ما) استفهامية وهو استفهام على وجه التقرير فهي في موضع نصب مفعول به. [7]

---

(1) سورة الرعد، الآية ٣٩.
(2) سورة البقرة، الآية ١٠٢.
(3) سورة الأعراف، الآية ٥٨.
(4) سورة البقرة، الآية ٧٧.
(5) سورة المدثر، الآية ٢٨.
(6) سورة يونس، الآية ١٠١.
(7) البحر، ج ١٩٤/٥.

- ويكثر حذف المفعول به بعد (المشيئة) ذكره ابن هشام.[1]

ومنه قوله تعالى:﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[2] أي: فلو شاء هدايتكم.

- بعد نفي العلم: ذكره ابن هشام أيضاً بقوله: (بعد نفي العِلم ونحوه)[3] ولعله أراد بكلمة (نحوه) البصر أيضاً، وهذا ظاهر في قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾[4] أي: أنهم سفهاء والثاني قوله تعالى: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴾[5] أي: تبصروننا.

- ومن غريب الحذف حذف المقول وبقاء القول- ذكره ابن هشام- نحو قوله تعالى:﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾[6] أي: هو سحر، بدليل قوله تعالى: ﴿ أَسِحۡرٌ هَٰذَا ﴾ ؟.[7]

حذف المفعول إذا كان (ياء) المتكلم:

وهو ضربان في القرآن:

الأول: أن يكون ذلك الحذف في حشو الآيات ومنه قوله تعالى:﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[8] ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(1) المغني، ٥٩٧-٥٩٨.
(2) سورة الأنعام، الآية ١٤٩.
(3) المرجع السابق، ٥٩٧-٥٩٨.
(4) سورة البقرة، الآية ١٣.
(5) سورة الواقعة، الآية ٨٥.
(6) سورة يونس، الآية ٧٧.
(7) المغني، ٥٩٨.
(8) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ ﴾ [1] ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا ﴾[2] وغير ذلك أحصاه ابن الجزري[3] في جميع آي الذكر الحكيم وقد وقد بلغت الياءات –عنده- في حصر الآي خمساً وثلاثين ياءً، وليست كلها في موضع نصب على المفعولية.

الثاني: وهو حذف (الياء) في رؤوس الآيات فقد كان المحذوف منها وهو للمتكلم إحدى وثمانون ياءً، عشرون منها لحقت الأفعال الخمسة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[4] ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[5] وغير ذلك كثير في القرآن يسهل الرجوع إليه نحو: (يونس: ١٢-١٤، يوسف: ٦٠،٩٤، الحجر: ٦٨-٦٩، الأنبياء: ٣٧،الشعراء: ١٢-١٤، القصص: ٣٣-٣٤).

وباستقصاء هذه المواضع وجدت أن كل موضع ورد فيه حذف لهذه الياء يمثل فعلاً من الأفعال الخمسة مجزوماً، أو منصوباً، ولم يرد مرفوعاً.

- حذف مفعول الفعل الذي ينصب مفعولين أو كليهما:

ومن الأفعال الخمسة اللازم، والمتعدي إلى مفعول أو مفعولين وهذا الأخير يكثر في التنزيل وقد يحذف مفعوله الأول أو الثاني أو كلاهما، وباستقصاء الأفعال

---

(1) سورة هود، الآية ٧٨.
(2) سورة يوسف، الآية ٦٦.
(3) النشر في القراءات العشر، تأليف الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ت(٨٣٣هـ)، راجعه على محمد الصباغ ج ١٨١/٢-١٨٢.
(4) سورة البقرة، الآية ١٥٢.
(5) سورة الأعراف، الآية ١٩٥.

التي تنصب مفعولين في القرآن الكريم ظهر لي أنه يكثر مجيئها في الزمن الماضي خاصة، ويقل ورودها في المضارع لاسيما الذي أسند إلى ألف الاثنين، أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة ومن ذلك (تتخذوا) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾[1] أي: لا تتخذوا إلهين معبوداً، واثنين على هذا القول: تأكيد[2]، ومن ذلك- أيضاً- قوله تعالى: ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾[3] أي: جاهزاً، أو رأيتموه (حاضراً) إذا كانت الرؤيا علمية وليست بصرية.[4]

أما (تجدوه) في قوله تعالى:﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾[5] فليس من هذا القبيل، ولكن الأمر قد التبس على صاحب التأويل[6] التأويل[6] عندما ذكر أن أباحيان قدّر في الكلام مفعولاً محذوفاً أي: تجدوه مُدخراً، والأمر- فيما فهمت- ليس كما زعم؛ فأبوحيان لم يذكر أن المفعول الثاني لـ(تَجِدُوهُ) في هذه الآية أن المفعول محذوف، ولا ذكر أن هذا الفعل (تَجِدُوهُ)، متعدٍّ لمفعولين في هذه الآية أصلاً حتى يُحذف مفعوله الثاني، وإنما ذكر أنَّ (وجد) هنا بمعنى (أصاب) المتعدي لمفعول واحد، وهو الضمير في (تَجِدُوهُ)[7] أما تقدير المفعول الثاني بـ(مدخراً) الذي ذكره الدكتور الحموز فلم يقل به أبوحيان وإنما عدَّه

(1) سورة النحل، الآية ٥١.
(2) البحر المحيط، ٥٠١/٥.
(3) سورة آل عمران، الآية ١٤٣.
(4) الدر المصون، ج ٤١٣/٣.
(5) سورة البقرة، الآية ١١٠.
(6) التأويل النحوي في القرآن ج ٣٠٢/١.
(7) البحر المحيط، ج ٣٤٩/١.

في معنى الحال من الضمير في (تَجِدُوهُ) وهو نفسه العامل في قوله: (عِندَ ٱللَّهِ) ولم يذكر مفعولاً ثانياً البتة.

أما مفعولاه من هذه الأفعال لدليل، فجائز وكثير في القرآن الكريم، وأما ما حذف مفعولاه لغير دليل ففيه مذاهب لا نود الخوض فيها فراراً من الإطالة.

ومن هذا القبيل حذف مفعولي (تزعمون) في قوله تعالى:﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [1] أي: تزعمونهم شركاء[2]، ومن ذلك الفعل (يَظُنُّونَ) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [3] أي: يظنون الكتاب أماني[4] ومنه (تَعْلَمُونَ) في قوله تعالى:﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [5] أي تعلمون أن ذلك خير. [6]

الخامس: حذف الجملة:

وفي هذا المبحث نذكر بإيجاز شيئاً عن حذف الجملة، مستأنسين بقول شوقي ضيف الذي ذكرناه آنفاً عن سيبويه: (ويخيل لمن يتابع سيبويه أن ليس في اللغة معمول لا يحذف وحتى الجملة تحذف...). [7]

ولن نطيل بذكر المواضع التي تحذف فيها الجملة في التنزيل فقد تحذف إن

---

(1) سورة القصص، الآية ٦٢.
(2) انظر البحر، ١٢٨/٧ وحاشية الشهاب ٨١/٧.
(3) سورة البقرة، الآية ٧٨.
(4) حاشية الشهاب ١٩٠/٢.
(5) سورة البقرة، الآية ١٨٤.
(6) البحر ٣٨/٢.
(7) المدارس النحوية، شوقي ضيف، ٧٥.

كانت شرطاً لجزاء أو العكس، أو كانت خبراً لمبتدأ أو العكس وكل ذلك تقتضيه الصناعة كما ذكر ابن هشام. [1]

ولقد وجدت أن حذف الجملة يكثر إن كانت مقولاً للقول ومن نماذج ذلك إن كان القول جملة فعلية فعلها من خمسة الأفعال وقد ورد في التنزيل ذلك ومنه الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾[2] أي: خلقها.

وقوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [3] ومن ذلك (الزمر: ٣٨، الزخرف: ٨٧).

فجملة مقول القول قد حذفت في كل موضع بعد (يقولُن) وذلك بإسناده إلى واو الجماعة ثم دخلت عليه نون التوكيد كما كثر حذف الجمل بعد (إذ) وعوِّضَ عنها بتنوين العوض في نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ [4] أي : حينئذ حينئذ بلغت الحلقوم ونحوه كثير في التنزيل.

(1) المغني، ج ٨٥٣/٢.
(2) سورة العنكبوت، الآية ٦١.
(3) سورة لقمان، الآية ٢٥.
(4) سورة الواقعة، الآية ٨٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني إلى إكمال هذا الجهد الذي جاء تلبية لرغبة ملحَّة في كشف أسرار هذه اللغة، والتنقيب عن عجائبها التي لا تنقضي، والحذف بوصفه أحد هذه القضايا يُعُّد أقواها وأظهرها ، يؤكد ذلك تمدده في التنزيل بصورة لافتة؛ الأمر الذي يُعلى من شأنه من جهة، ويظهر -بجلاء- من جهة أخرى ذوق اللغة الأصيل وحسها المرهف في البيان الأعلى ممثلاً في النص القرآني الذي بلغ المدى في الاهتمام بالسامع ومراعاة المقام (ذكراً وحذفاً).

وقد خلصت من هذه الدراسة إلى الآتي:

أولاً: ضرورة أن يلم المفسر لكتاب الله- عزَّ وجل- بظواهر الحذف ودلالاته في التنزيل؛ لأن ذلك لم يعد عارضاً في القرآن، بل غدا ظاهرة تستوجب الوقوف عندها فـ(الشواهد على ذلك [الحذف] أكثر من أن تحصى).[1]

ثانياً: تكامل التفسير والدرس اللغوي؛ فما يحذف- أحياناً- في آية يذكر في أخرى –وبذا-يصبح التفسير واضحاً بالتقدير الصحيح للمحذوف؛لذكره في موضع آخر كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾[2] فُسِّر المحذوف وهو المضاف بـ(دعاء) لوروده صراحة في قوله تعالى:﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف ٣٧٢/١.
(2) سورة الشعراء، الآية ٧٢.

.[1]

ثالثاً: التدقيق في استخدام المصطلح بعد فهم دلالته العميقة، وذلك كالتفريق مثلاً بين: (الحذف والإضمار من جهة، وبين الحذف والإيجاز من جهة أخرى) وهو ما أوضحته هذه الدراسة.

رابعاً: اعتماد المعنى دون اللفظ حال التقدير، إذ لا يشترط في تقدير المحذوف لفظ بعينه إذ يجوز في تقدير المحذوف في نحو (لا رجل في الدار) مثلاً: (كائن- مستقر- موجود... الخ).

(1) س فاطر، الآية ١٤.